

رَأْيَاتُنَا
كِرِيْسِيْتِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ
(لِلتَّصْفِيْحِ وَالْإِطْلَاعِ)

شَرْحٌ فِي الْمِرْآةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبحاثنا ككريسيتي

شَرْحٌ فِي الْمِرْآةِ

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٦٢

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٦٢ بعنوان

The Mirror Cack'd from Side to Side

Copyright © Agatha Christie Ltd 1962

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الخامسة

٢٠٢٠

الفصل الأول

كانت الأنسة ماريل جالسة بجوار نافذة غرفتها المطلة على حديقة منزلها، تلك التي كانت ذات يوم مصدر فخر لها، لكن الحال لم يعد كذلك الآن، فقد باتت تستاء لرؤية منظرها بعد إذ أقعدها الضعف عن الاهتمام بها: لا انحناء ولا حَفْر ولا زراعة... اللهم إلا تقليم الأشجار في أحسن الأحوال.

ورغم أن العجوز لا يكوك (الذي يأتي ثلاث مرات في الأسبوع) كان يبذل أفضل ما لديه فإن هذا الأفضل (الذي لم يكن يعني الكثير) لم يكن أفضل إلا بمقياسه هو، لا بمقياس صاحبة العمل التي كانت تعرف تماماً ما تريد أن تعمل ومتى تريده وتعطي تعليماتها للعجوز وفقاً لذلك. وهنا كان العجوز يُظهر عبقريته الخاصة في الموافقة المتحمسة على التعليمات التي يعقبها عدم التنفيذ: هذا صحيح يا سيدتي، سوف نضع هذه الشتلة هناك ونضع نباتات الكانتريري على طول الجدار، وسوف يكون هذا أول عمل نعمله الأسبوع القادم كما قلت...

كانت أعذار لا يكوك معقولة دائماً وكثيرة الشبه بأعذار الكابتن جورج في قصة «ثلاثة رجال في قارب» لكي يتجنب الذهاب إلى

البحر، ففي تلك القصة كانت الريح دائماً غير مناسبة سواء أكانت تهب على الشاطئ أم بعيداً عنه أم آتية من الغرب أم من الشرق! وبالطريقة ذاتها كانت أحوال الطقس هي أعداء لايكوك المعتادة، فهو جاف جداً أو ممطر جداً، مشبع بالماء أو جاف بارد الهواء، وكان ينبغي دائماً عمل شيء أكثر أهمية (عادة ما يكون متعلقاً بالملفوف الذي يحب زراعته بكميات كبيرة).

كانت مبادئ لايكوك في البستنة بسيطة، ولكن لم يكن بوسع أي شخص يوظفه -مهما كانت خبرته- أن يثنيه عنها. كانت مبادئه تلك تتكون من شرب عدد كبير جداً من فناجين الشاي الحلو الثقيل لتشجعه على العمل، ثم قضاء وقت طويل في كس أوراق الأشجار المتساقطة في الخريف، وفي تنسيق زراعة مساحات كبيرة من نباتاته المفضلة، وبصفة خاصة النجمية والميرمية "تعطي منظرًا جميلاً في الصيف" حسب تعبيره. كان يحب دائماً رش الورود لحمايتها من الحشرات، لكنه كان بطيئاً في عمله فلا يستطيع خداعها والإمساك بها، وعندما كانت سيده تأمره بحفر خنادق عميقة لزراعة البازلاء العطرة كانت تواجهه عادة بقوله إنها يجب أن ترى البازلاء التي يزرعها هو! كانت نباتات رائعة في الموسم الماضي دون أن يجهد نفسه بأي أعمال مسبقة.

ومن الإنصاف أن نقول إنه كان على صلة جيدة بأصحاب العمل الذين يستخدمونه، وكان يساير رغباتهم المتعلقة بالبستنة ما دام لا يوجد عمل متعب وفعلي، لكنه كان يعرف أن الخضراوات هي مادة الحياة الحقيقية: الملفوف الجميل أو اللفت المعقوص، أما الأزهار فإنها أمور كمالية خيالية تركض خلفها النساء عادة، ممن

لا يجدن شيئاً أفضل يشغلن به أوقاتهن. وكان يُظهر حبه لمستخدِميهِ بتقديم هدايا من نباتات الأسطر والناعمة أو نباتات اللوبيا ونباتات الأتحوان الصيفية.

- كنت أعمل في البيوت الجديدة في منطقة التطوير. إنهم يريدون تنسيق حدائق جميلة فيأتون بنباتات أكثر مما كانوا يحتاجونه، لذلك أحضرت معي قليلاً من الورود ووضعتها مكان الورود القديمة التي فقدت نضارتها.

أشاحت الآنسة ماربل بنظرها عن الحديقة وهي تفكر بهذه الأمور، وتناولت أغراض حياكتها. على المرء أن يواجه الحقيقة: إن قرية سينت ميري ميد لم تعد كما كانت عليه من قبل!

من الطبيعي أن يتغير كل شيء. يمكنك أن تلوم الحرب، كلا الحريين، أو الجيل الصغير أو النساء اللاتي يذهبن للعمل أو القنبلة النووية أو الحكومة... لكن الحقيقة، وبكل بساطة، هي أن المرء يتقدم في السن.

ورغم أن الآنسة ماربل كانت تدرك هذه الحقيقة تماماً بما تميزت به من حساسية مفرطة، إلا أنها كانت تحس بهذا الأمر أكثر في سينت ميري ميد وبطريقة غريبة لأنه كان المكان الذي تعيش فيه منذ زمن طويل.

سينت ميري ميد، مركزها الذي ينتمي إلى العالم القديم، ما زال قائماً. ما تزال هناك تلك البيوت الصغيرة المقامة على طراز عصر الملكة آن والعصر الجورجي، والتي كان بيت الآنسة ماربل واحداً منها. وهناك ما يزال بيت الآنسة هارتنيل، والآنسة هارتنيل

نفسها التي كانت تحارب التقدم حتى آخر نَفَس فيها. أما الآنسة ويدرбай فقد توفيت ويسكن بيتها الآن مدير البنك مع عائلته بعد إجراء تعديلات عليه وطلاء أبوابه ونوافذه باللون الأزرق الفاتح. أما معظم البيوت القديمة الأخرى فيسكنها أناس جدد، وإن تكن البيوت نفسها لم تتغير في مظهرها إلا قليلاً، لأن الذين اشتروها إنما فعلوا ذلك لأنهم أحبوا ما سمّاه سمسار البيوت «سحر العالم القديم»، فافتنوا بأن أضافوا إلى بيوتهم حماماً آخر وأنفقوا كثيراً من الأموال على أعمال السمكرة والأفران الكهربائية وجلايات الصحن.

ورغم أن البيوت بقي مظهرها كما كان من قبل إلى حد بعيد، إلا أن الأمر نفسه لا يكاد ينطبق على شارع القرية، فالملاك الجدد للمحال التجارية عملوا على تحديثها تحديثاً جدياً وفورياً، فلم يكن ممكناً التعرف على السمّك بواجهات محله الجديدة التي كان السمك المثلج يلعب من خلالها. لكن الجزار بقي محافظاً، فاللحم الجيد هو اللحم الجيد إن كنت تملك المال لشرائه، وإذا لم تكن تملك المال فيمكنك أن تشتري الأجزاء الأرخص سعراً والأعسر طبخاً وتحبها! وكذلك فإن محل البقال بارنز لم يطرأ عليه تغيير يذكر، مما جعل الآنسة هارتنيل والآنسة ماربل وسيدات غيرهما يحمدن الله على ذلك كل يوم... كراسي مريحة وجميلة للجلوس عليها بجانب منصة المحاسبة وتبادل الحديث العائلي عن قطع اللحم والأنواع المختلفة من الجبنة. في حين حلّ في طرف الشارع متجر كبير جديد محلّ دكان السيد تومس بائع السلال، ولكنه كان مكاناً بغيضاً للسيدات العجائز من سينت ميري ميد.

صاحت الآنسة هارتنيل: أشياء كثيرة لم يسمع بها المرء قط.

هذه العلب الكبيرة من رقائق الحبوب للإفطار بدلاً من طهي طعام حقيقي من اللحم والبيض للطفل! ثم إن عليك أن تحملي سلة بنفسك وتدوري في المحل لتبחי عن الأغراض، وقد تحتاجين أحياناً لأكثر من ربع ساعة لتحصلي على كل ما تريدينه، وعادة ما تكون حاجتك في عبوات غير مناسبة، إما أكبر بكثير أو أصغر بكثير مما تريدين... ثم عندما تفرغين ستجدين طابوراً طويلاً تنتظرين فيه لتدفعي الثمن. أمر متعب جداً! هذا بالطبع مناسب تماماً للناس القادمين من التطوير. وعند هذه النقطة سكتت. انتهت الجملة بالتطوير، تلك الكلمة التي أصبحت الآن شائعة معروفة المعنى ولها هويتها الخاصة بها... إنها منطقة التطوير.

صاحت الأنسة ماربل صيحة انزعاج حادة. لقد غفلت عن إحدى الغرزات مرة أخرى، بل لا بد أنها غفلت عنها منذ وقت غير قليل ولكنها لم تدرك الحقيقة إلا الآن عندما وجب عليها تضيق الصدر استعداداً لحفرة الرقبة، واضطرت -بالتالي- أن تعد الغرز. أخذت صنارة احتياطية ورفعت الحياكة نحو الضوء ونظرت إليها بقلق... حتى نظارتها الجديدة لم تكن لتنفعها. لقد تغير الزمن ولم يعد بوسع أطباء العيون أن يعملوا أي شيء لها، رغم غرف الانتظار الفاخرة في عياداتهم والمعدات الحديثة والأضواء القوية التي يركزونها على العين، ورغم الأسعار المرتفعة التي يتقاضونها.

وفي لحظة عاودها الحنين إلى الماضي: كيف كان بصرها قوياً قبل بضع سنوات (حسناً، ربما لم تكن بضع سنوات بل أكثر قليلاً) مما جعلها ترى من حديقته ذات الموقع المشرف كل ما يجري في سينت ميري ميد، فلا يكاد يفوتها من ذلك غير القليل!

توقفت عند هذه الخواطر فجأة وتركت أفكارها تعود إلى الوراثة حيث الماضي: آن بروثيرو في تنورتها الصيفية ذاهبة إلى حديقة بيت الكاهن، والكولونيل بروثيرو المسكين، رجل كريبه ومضجر بالتأكيد، ولكن أن يُقتل بتلك الطريقة! هزت رأسها وانتقلت بأفكارها إلى غريزلدا زوجة الكاهن الشابة الجميلة، غريزلدا الحبيبة، صديقة مخلصمة كانت تبعث لها بطاقة عيد الميلاد كل عام. لا بد أن طفلها الرضيع الجذاب ذاك قد أصبح الآن شاباً ضخماً الجسم ويعمل بوظيفة ممتازة، ولعله يعمل مهندساً، فقد كان يستمتع دائماً بتفكيك لعب القطارات. وخلف بيت الكاهن كان هناك دَرَج وممر يؤدي إلى الحقل، وتأتي بعده مزرعة غايلز للماشية في المروج، تلك التي أصبحت الآن... الآن، منطقة التطوير.

ولمَ لا؟ سألت الأنسة ماربل نفسها هذا السؤال بتحدُّ: هذه أمور لا بد أن تحدث! كانت الحاجة ملحة للبيوت، وقد بُنيت بناء جيداً... أو هكذا قالوا عنها.

كان ذلك مثل شيري بيكر التي كانت تسمي غرفة استقبال الأنسة ماربل القديمة التي تتكدس فيها قطع الأثاث «الردهة»، وكثيراً ما كانت الأنسة ماربل تصحح أفكارها بلطف قائلة لها: "إنها غرفة الاستقبال يا شيري". ولأن شيري كانت صغيرة ولطيفة فقد حاولت أن تتذكر ذلك، رغم أنه كان واضحاً لها أن استعمال كلمة «غرفة استقبال» كان غريباً جداً بينما كانت كلمة «ردهة» تنزلق على لسانها بيسر وسهولة، ولكنها قبلت أخيراً أن تسميها «غرفة معيشة».

كانت الأنسة ماربل تحب شيري التي جاءت من منطقة التطوير

كثيراً. كان اسمها السيدة بيكر، وكانت واحدة من مجموعة الزوجات الشابات اللاتي كنّ يتسوقن في السوبرماركت ويدفعن بأيديهن عربات أطفالهن في شوارع سينت ميري ميد الهادئة. كنّ جميعاً أنيقات الملبس وكان شعرهن متموجاً ذا خصلات ملفوفة، وكنّ يضحكن ويتحدثن وينادي بعضهن بعضاً، مثل سرب من الطيور السعيدة. وبسبب من حباتل التسهيلات المغربية للشراء بالتقسيط كنّ دائماً بحاجة لنقود رغم أن أزواجهن جميعاً كانوا يتلقون رواتب جيدة، ولذلك كنّ يأتين للقيام بأعمال المنزل والطبخ.

كانت شيري طاهية سريعة وقديرة، امرأة ذكية، تردّ على المكالمات الهاتفية بطريقة صحيحة وكانت سريعة في كشف الأخطاء الموجودة في دفاتر أصحاب المحلات، ولم تكن تحب كثيراً تنظيف ما تحت السجاد. أما بالنسبة لجلي الصحون فكانت الأنسة ماربل تمر دائماً أمام باب المطبخ مشيحة بوجهها بعيداً حتى لا ترى شيري وهي تعمل، حيث كانت تضع كل شيء في المجلى بعضه فوق بعض وتصب عليه زخات من مسحوق الجلي، ولذلك فقد نقلت الأنسة ماربل بهدوء طقم الشاي الفاخر من الاستعمال اليومي وحفظته في خزانة في الزاوية واكتفت بأن تخرجه في المناسبات الخاصة فقط، واشترت -بدلاً منه- طقمماً حديثاً رمادي اللون غير مطلي بطلاء ذهبي يمكن أن يزول لونه عند الجلي.

لكم كان الأمر مختلفاً في الماضي! كانت لديها -على سبيل المثال- فلورنس المخلصة خادمة الاستقبال، وكانت لديها آمي وكلارا وأليس، الخادومات الصغيرات اللطيفات اللاتي جئن من ملجأ سينت فيث للأيتام لتلقّي التدريب على الأعمال المنزلية ليذهبن بعد

ذلك إلى أماكن أخرى للعمل برواتب أفضل. كان بعضهن بسيطاً جداً، وكانت أمي -تحديداً- قاصرة العقل. كن يتحدثن ويثرثرن مع الخادومات الأخريات في القرية ويخرجن مع مساعد السمّك أو مساعد بستاني المنزل المجاور أو مع أحد مساعدي السيد بارنز البقال العديدين.

قلبت الآنسة ماربل تفكيرها بهن بكل محبة، وتذكرت معاطف الصوف التي حاكتها لأولادهن المنتظرين. نعم، لم يكنّ بارعات كثيراً في استخدام الهاتف ولم يكنّ ذكيات في الحساب أبداً، لكنهن كن يعرفن الغسيل وكيفية ترتيب السرير. كانت قيمتهن تكمن في مهارتهن اليدوية وليس في مستوى تعليمهن.

الغريب أن الفتيات المتعلمات هن اللاتي يذهبن للقيام بجميع الأعمال المنزلية في هذه الأيام، طالبات أجنبيات وفتيات متدربات وطالبات جامعيات يأتين للعمل في الإجازات، وزوجات شبّات مثل شيري بيكر يعشن في أبنية المناطق المتطورة والحديثة.

ومع ذلك فما زال في القرية أناس مثل الآنسة نايت بالطبع. جاءتها هذه الفكرة الأخيرة فجأة لدى سماعها حركة الآنسة نايت التي تنظف آنية الخزف على رف الموقد في الطابق العلوي. كان واضحاً أن الآنسة نايت قد انتهت من استراحة بعد الظهر وستخرج قريباً لتتمشى في جولتها اليومية بعد أن تسأل الآنسة ماربل إن كانت تريد أن تحضر لها أي شيء من البلدة.

واستمرت سلسلة الأفكار تتوارد في ذهن الآنسة ماربل. لقد كان كرمًا كبيراً بالطبع من ابن أخيها الغالي ريموند أن يحضر لها هذه

الخدمة، الأنسة نايت، التي لا يمكن لأحد أن يكون أكثر لطفاً منها.

وفكرت الأنسة ماربل في مرض التهاب الرئتين الذي أصابها مؤخراً فجعلها ضعيفة جداً لدرجة أن الدكتور هيدوك أمرها أمراً حازماً بأن تأتي بشخص ينام معها في البيت كيلا تنام فيه بمفردها. وهنا توقفت الأنسة ماربل عن التفكير، إذ لم يكن من المفيد المضي فيه وتمني أن يكون هذا الشخص أحداً آخر غير الأنسة نايت. وعلى أي حال فليس للسيدات العجائز خيار كبير في هذه الأيام، فقد انتهى عهد الخادومات المخلصات، وإذا ما اشتد بك المرض فيمكنك أن تُحضر -بعد طول عناء- ممرضة من المستشفى تكلفك غالياً، أو يتعين عليك أن تبيت أنت في المستشفى. وعندما تنتهي نوبة المرض الشديد لا بد من العودة إلى أمثال الأنسة نايت.

وفكرت الأنسة ماربل بأنه لا يوجد في أمثال الأنسة نايت ما يعيبن باستثناء كونهن يثرن السخبط إلى حد الجنون. فهن لطيفات جداً ومستعداتٌ للشعور بالمحبة تجاه مستخدميهن، وتسليتهن والتعامل معهم بانفتاح وانسراح ومعاملتهم -عموماً- كما لو أنهم كانوا أطفالاً ذوي قصور عقلي.

قالت الأنسة ماربل مخاطبة نفسها: لكنني لست قاصرة عقلياً رغم كبر سني.

في تلك اللحظة دخلت الأنسة نايت إلى الغرفة وهي تتنفس بصعوبة كما هي عادتها. كانت امرأة مترهلة ضخمة الجسم في السادسة والخمسين من عمرها ذات شعر أبيض مصفرّ مصنف جيداً، تضع نظارة ولها أنف طويل نحيل وتحتة فم جميل وذقن نحيفة.

صاحت بأسلوب مرح قصدت به إبهاج المرأة المسنة الحزينة:
ها قد انتهينا! أرجو أن تكوني قد تمتعت بقبيلولة صغيرة؟

ردت الأنسة ماربل: "كنت أحوك بالصنارة"، ثم تابعت باستياء
وخجل معترفة بضعفها: وقد أخطأت في غرزة.

- آه، يا عزيزتي! سنعالج ذلك حالاً، أليس كذلك؟

- أنت ستفعلين هذا، أمّا أنا فإنني لا أستطيع ذلك للأسف.

لم تشعر الأنسة نايت بالفظاظة في نبرة صوتها، إذ كانت كعادتها
متحمسة لتقديم المساعدة. قالت بعد لحظات: ها هي يا عزيزتي،
لقد أصبحت على ما يرام.

رغم أن الأنسة ماربل كانت تحب أن تنادى «عزيزتي» من قبل
المرأة في البقالة أو الفتاة في محل الصحف إلا أنها تضايقت كثيراً
من أن تناديهما الأنسة نايت بهذا اللفظ، وهذا شيء آخر ينبغي على
النساء المسنات أن يتحملنه.

شكرت الأنسة نايت بأدب فقالت الأنسة نايت بمرح: أريد
الخروج للشمسي الآن، ولن أتأخر.

قالت الأنسة ماربل بأدب وصدق: أرجو أن لا تعجلي بالعودة.

- لا أحب أن أتركك وحيدة لفترة طويلة يا عزيزتي حتى
لا تشعرى بالكآبة.

قالت الأنسة ماربل: "أنا سعيدة تماماً". ثم أغلقت عينيها
وتمتمت: ربما أذهب لأنام قليلاً.

- هذا جيد يا عزيزتي. هل تحبين أن أحضر لك أي شيء معي؟
فتحت الأنسة ماربل عينيها وفكرت.

- أرجو أن تذهبي إلى محل لونجدون لتري إن كانت الستائر جاهزة، كما يمكنك إحضار لفة صوف أزرق من السيدة وايزلي، وعلبة من مكعبات النعنع من الصيدلية. وغيّري لي الكتاب من المكتبة، ولكن لا تسمحي لهم بأن يعطوك أي كتاب ليس على قائمتي، فهذا الكتاب الأخير كان رهيباً جداً ولم أستطع قراءته.
ثم سلمتها كتاب «يقظة الربيع».

- آه، ألم تحبيه؟ كنت أظن أنك ستحبيه... إنها قصة جميلة.

- وإذا لم يكن المكان بعيداً عليك فاذهبي إلى محل هاليتس وانظري إن كان عندهم خفاقة بيض تعمل من أعلى إلى أسفل وليس ذلك النوع الذي يدور بحركة دائرية.

كانت تعرف جيداً أنهم لا يبيعون مثل هذا النوع، لكن محل هاليتس كان أبعد محل ممكن.

ثم تمتت: إذا لم يكن كل هذا كثيراً عليك.

لكن الأنسة نايت ردّت بصدق واضح: أبداً، يسرني عمل ذلك.

كانت الأنسة نايت تحب التسوق، كان بالنسبة لها هواء الحياة، فالمرء يستطيع مقابلة معارفه وتتاح له فرصة للحديث مع الآخرين والثرثرة مع البائعين، وتتاح له فرصة رؤية أغراض مختلفة في محلات مختلفة، ويمكنه قضاء وقت طويل في هذه المشاغل الجميلة دون

إحساس بالذنب وبأن من واجبه العودة إلى مكان عمله مسرعاً.

وهكذا انطلقت الأنسة نايت سعيدة بعد أن ألفت نظرة أخيرة على السيدة المسنة الضعيفة التي كانت تجلس بجانب النافذة بهدوء. وبعد أن انتظرت الأنسة ماربل بضع دقائق تحسباً لعودة الأنسة نايت لتأخذ حقيبة التسوق أو محفظة نقودها أو مندلياً... فقد كانت شديدة النسيان كثيرة العودة إلى البيت لتأخذ أغراضها التي نسيتهـا.

وبعد أن استعادت عافيتها من الجهد العقلي المضني في تذكّر الأشياء الكثيرة التي لا تريدها وإنما تطلب من الأنسة نايت إحضارها لمُشاغلتها فقط، نهضت الأنسة ماربل برشاقة فألقت صنارتها جانباً، ثم خرجت من الغرفة وذهبت إلى الصالة حيث تناولت عن المشجب معطفها الصيفي وأخذت العصا من الحامل واستبدلت بنعلها الخفيف حذاءً قوياً للمشي، ثم غادرت البيت من الباب الجانبي.

قالت الأنسة ماربل تخاطب نفسها: ستحتاج إلى ساعة ونصف ساعة على الأقل، فمعظم الناس من منطقة التطوير يتسوقون الآن.

تخيلت الأنسة ماربل الأنسة نايت في محل لونجدون وهي تستعلم عن الستائر بلا فائدة. وكانت ظنونها في محلها، ففي تلك اللحظة كانت الأنسة نايت تصيح: لقد أحسست في نفسي بأنها غير جاهزة الآن، لكنني أحببت أن آتي لأتأكد بعد أن ذكرت السيدة أمر الستائر. مسكينات هؤلاء العجائز، ليس لديهن إلا أشياء قليلة يتطلعن لها. لا بد للمرء أن يسايرهن ويهجهن... كما أنها سيدة لطيفة، لقد وهنت قدراتها الآن ولكن هذا متوقع تماماً، فملكتهن العقلية تبدأ بالضعف. جميل هذا القماش، هل لديكم منه ألوان أخرى؟

مرت عشرون دقيقة، وعندما غادرت الأنسة نايت في نهاية الأمر قالت مسؤولة المحل بازدراء: تضعف ملكاتهن؟! لن أصدق ذلك حتى أراه بنفسي. لقد كانت الأنسة ماربل العجوز حادة الذكاء دائماً، وأعتقد أنها ما زالت كذلك.

في تلك الأثناء كانت الأنسة ماربل تحدث نفسها راضية وهي تتذكر شخصية كانت تعرفها من الماضي: إنها تذكرني بإميلي ووترز، إنها امرأة مغفلة مثلها. فلأتذكر، ما الذي حدث لإميلي؟

لم يحدث لها الكثير، كان ذلك استنتاجها. لقد كادت تعقد خطبتها مرة مع راعي الأبرشية، لكن العلاقة بينهما فشلت بعد تفاهم دام عدة سنوات.

صرفت الأنسة ماربل تفكيرها عن خادماتها وركزت انتباهها على ما حولها. كانت قد اجتازت الحديقة بسرعة ولمحت بطرف عينها فقط أن لا يكون قلم الورود القديمة بطريقة مبالغ فيها بحيث جعلها أقرب لنباتات الشاي المهجنة، لكنها لن تسمح لذلك بأن يثير اكتئابها ويفوّت عليها فرصة الاستمتاع بهروبها خارج البيت وحدها.

كانت المغامرة تملؤها بالسعادة والحبور. استدارت إلى اليمين وعبرت بوابة بيت الكاهن، ثم سارت على الطريق وخرجت إلى يمينه. هناك الآن بوابة حديدية دوّارة مكان الدرج المشرف على طريق مزفت ومبّلت، كان هذا الطريق يؤدي إلى جسر صغير فوق جدول صغير وكان على الجانب الآخر من النهر - ذات يوم - مروج خضراء، أما الآن فقد بُنيت عليها منطقة التطوير.

* * *

الفصل الثاني

عبرت الأنسة ماربل الجدول يغمرها شعور كشعور كولومبوس عندما انطلق لاكتشاف عالم جديد، وأكملت سيرها على الطريق، وخلال أربع دقائق وصلت إلى «أوبري كلوز».

كانت الأنسة ماربل قد شاهدت منطقة التطوير بالطبع من طريق ماركت بيسينغ وشاهدت عن بُعد الصفوف الطويلة من البيوت المنسقة الجميلة التي تعلوها هوائيات استقبال البث التلفزيوني، وشاهدت أبوابها ونوافذها الزرقاء والوردية والصفراء والخضراء، لكنها كانت تراها عن بعد، لم تكن قد دخلتها أو سكتتها، لكنها هنا الآن تنظر إلى العالم الجديد الشجاع الذي كان يبرز إلى الوجود، العالم الذي كان -بكل المقاييس- غريباً عن كل ما كانت تألفه.

لم يكن يبدو حقيقياً لها... كان أقرب ما يكون لنموذج مرتب بناه الأطفال بحجارتهم، حتى الناس كانوا يبدوون غير حقيقيين: الفتيات اللاتي يلبسن البناتيل، والخبث الذي يظهر على محيّا الشباب والصبيان. لم تستطع الأنسة ماربل أن تزيح عن ذهنها التفكير بأن المشهد كله بدا فاسداً تماماً. لم يلحظها أحد وهي تسير بخطى متثاقلة في طرقات المنطقة، واستدارت خارجة من أوبري كلوز

ودخلت دارلينغتون كلوز.

خلال سيرها البطيء كانت تسمع مقتطفات من الحديث الذي كان يدور بين النساء اللاتي يدفعن عربات أطفالهن، وكانت تسمع الفتيات وهن يخاطبن الشباب والصبيان الذين يلوح الشر في عيونهم وهم يتبادلون الكلمات الفاسدة بعضهم مع بعض. وخرجت الأمهات على عتبات الأبواب ينادين أطفالهن الذين كانوا مشغولين -كعادتهم- في عمل جميع الأشياء التي أوصتهم أمهاتهم أن لا يفعلوها... وقالت الأنسة ماربل في نفسها: الحمد لله، إن الأطفال لا يتغيرون أبداً!

ولاحت على وجهها ابتسامة وهي تدون في عقلها السلسلة المعتادة لما تراه وتدركه: تلك المرأة مثل كاري إدواردز تماماً، وتلك السمراء تشبه ماري هوبر، لعلها ستفسد زواجها مثلما فعلت ماري هوبر تماماً! هؤلاء الأولاد... الولد الأسمر مثل إدوارد ليك، يكثر من الألفاظ النابية لكنه لا يؤذي، إنه في الحقيقة ولد لطيف. وذلك الأشقر مثل جوش ابن السيدة بيدويل. كلاهما ولدان لطيفان، أما ذلك الذي يشبه غريغوري بينز فلن ينفع كثيراً... أظن أن له أمماً تشبه أم غريغوري أيضاً.

وعند إحدى الزوايا انعطفت ودخلت في والينجهام كلوز، وكانت معنوياتها ترتفع كل لحظة.

العالم الجديد هو العالم القديم نفسه: البيوت صارت مختلفة، والملابس مختلفة، والأصوات مختلفة، لكن البشر لم يتغيروا أبداً. ورغم أنهم يستخدمون عبارات مختلفة قليلاً إلا أن موضوعات أحاديثهم كانت هي نفسها.

لم تعد الأنسة ماربل تدرك الاتجاه الذي تسير فيه لكثرة انعطافها في الشوارع الجانبية، وصلت عند طرف منطقة سكنية مرة أخرى فدخلت في كاريزبروك كلوز، وهو زقاق كان نصفه تحت الإنشاء. كان هناك زوجان شابان يقفان على إحدى نوافذ الطابق الأول لبيت أوشك بناؤه على الاكتمال، كانت أصواتهما تصل إلى مسامعها وهما يتحدثان عن لطافة المكان:

- يجب أن تعترف بأنه موقع جميل يا هاري.

- والموقع الآخر كان جميلاً أيضاً.

- هذا البيت فيه غرفتان زيادة.

- لكن عليك أن تدفعي ثمن هذه الزيادة.

- حسناً، لقد أحببت هذا المنزل.

- لا شك في ذلك.

- آه، لا تُفسد عليّ متعتي... أنت تعرف ما قالته أمي.

- أمك لا تكف عن القول أبداً.

- لا تقل شيئاً عن أمي! ماذا سيحل بي لولاها؟ كان يمكنها

أن تكون أكثر لؤماً معك مما كانت عليه، كان بإمكانها تحويلك إلى المحكمة.

- آه، كُفي عن هذا يا ليلي.

- إن له إطلالة جميلة على التلال.

أخرجت جسمها من النافذة واستدارت ناحية اليسار وأكملت:

تستطيع أن ترى تقريباً... تستطيع أن ترى تقريباً خزان الماء.

انحنى إلى الأمام أكثر وهي لا تدرك أنها كانت تستند بجسدها على ألواح غير ثابتة كانت موضوعة على عتبة النافذة، فانزلت الألواح تحت ضغط جسدها خارج النافذة حاملة المرأة معها. صرخت وهي تحاول استعادة توازنها: هاري!

وقف الشاب وراءها بمسافة قصيرة جداً دون حراك، وتراجع خطوة إلى الوراء. تشبث بالحائط بياس واستطاعت هي أن تستعيد توازنها.

صاحت خائفة: آه! كنت على وشك الموت، لم لم تمسك بي؟

- حدث كل هذا بسرعة... وعلى أية حال لم يحدث لك شيء.

- أهذا كل ما تستطيع قوله؟ أقول لك إنني كدت أسقط... انظر ما حلّ بسترتي.

واصلت الأنسة ماربل سيرها قليلاً ثم استدارت وعادت من حيث أتت تدفعها حاستها المتميزة.

كانت ليلي خارج البيت على الطريق تنتظر الشاب وهو يقفل البيت. توجهت الأنسة ماربل نحوها وتحديث معها قليلاً بصوت منخفض: لو كنت مكانك لما تزوجت ذلك الشاب يا عزيزتي. أنت بحاجة إلى رجل يمكنك الاعتماد عليه إذا وقعت في خطر. يجب أن تغفري تطفلي هذا، لكنني أحس أن عليّ أن أحذرك.

وابتعدت عنها فيما حدثت ليلي إليها وهي ذاهبة: حسناً، على

كل...

اقترب الشاب منها: ليلي، ما الذي كانت تقوله لك؟
فتحت ليلي فمها، ثم أغلقتة ثانية.

- تريد أن تعرف؟ لقد كانت تبغني تحذير العجرية.
وتفرّست في وجهه لحظة.

كانت الأنسة ماربل -نتيجة حرصها على الابتعاد بسرعة- قد
استدارت عند منعطف، فتعثرت ببعض الحجارة المتناثرة ووقعت.
وأسرعت إليها امرأة خرجت من أحد البيوت: آه، يا إلهي! إنها سقطت
شديدة. أرجو أن لا تكوني قد تأذيت؟

وضعت ذراعها حول الأنسة ماربل بتودّد مبالغ فيه وأوقفتها
على قدميها.

- أرجو ألا يكون وقع أي كسر؟ أظن أن السقطة قد آلمتك
قليلاً.

كان صوتها عالياً ودوداً، كانت امرأة قوية ممتلئة الجسم في
نحو الأربعين من عمرها ذات شعر بني بدأ يغزوه الشيب وعينين
زرقاوين وفم كبير بدا للأنسة ماربل ذات النظرات الزائغة أنه يخفي
صفاً من الأسنان العاجية.

- أفضل أن تدخلني لتراتحي قليلاً، سأحضّر لك فنجاناً من
الشاي.

شكرتها الأنسة ماربل وهي تدخل إلى غرفة صغيرة ذات باب
أزرق مليئة بالكراسي والأرائك المغطاة بأغطية قطنية براقية.

قالت المرأة وهي تجلسها على مقعد وثير: لا تجهدني نفسك،
سأضع الإبريق على النار.

أسرعت خارجة من الغرفة التي بدت هادئة ومريحة بعد
مغادرتها، وتنفست الأنسة ماربل الصُّعداء. لم تسبب لها السقطة
أذى حقيقياً لكنها أصيبت ببعض الرضوض. على المرء أن يتحرز
من السقطات في مثل هذا العمر، ومع ذلك لا حاجة لأن تعرف
الآنسة نايت شيئاً عما جرى. حركت ذراعيها وساقها بنشاط، جميع
أعضائها سليمة. ليها تستطيع العودة إلى بيتها سالمة... ربما بعد
فنجان من الشاي.

وصل فنجان الشاي لحظة تفكيرها به، حملته المرأة على صينية
مع أربع قطع بسكويت على طبق صغير ووضعتها على طاولة صغيرة
أمامها قائلة: هل أصبّه لك؟ من الأفضل أن تضعي كثيراً من السكر.
- لا سكر، أشكرك.

- يجب أن تضعي سكرًا، فهو علاج جيد للصدمة. لقد كنت
أعمل في سيارات الإسعاف أثناء الحرب وأعلم أن السكر ممتاز
لعلاج الصدمات.

وضعت أربع قطع من السكر في فنجان وحركته بقوة.

- اشربي هذا وستكونين على ما يرام.

تقبلت الآنسة ماربل هذا الحكم المبرم، وفكرت في نفسها:
إنها امرأة لطيفة. إنها تذكرني بواحدة... تُرى من هي؟

قالت مبتسمة: لقد كنتِ لطيفة جداً معي.

- آه، أبداً. أنا ملاك صغير يحب مساعدة الآخرين.

أطلت خارج النافذة لدى سماعها صوت البوابة الخارجية وهي تفتح. قالت: هذا زوجي قد عاد. آرثر، لدينا زائرة.

خرجت إلى الصلاة وعادت ومعها آرثر الذي كان يبدو مرتبكاً. كان رجلاً نحيلاً شاحباً بطيء الكلام.

- لقد وقعت هذه السيدة على الأرض بجوار بوابة بيتنا تماماً، فأدخلتها إلى هنا.

- إن زوجتك لطيفة جداً يا سيد...

- اسمي بادكوك.

- أخشى أن أكون قد سببت لها كثيراً من المتاعب يا سيد بادكوك.

قال: "آه، هيدر لا تتعب، بل هي تستمتع بمساعدة للناس". ثم نظر إليها باستغراب: هل كنت تقصدين مكاناً معيناً؟

- لا، كنت أتمشى فقط. أنا أعيش في سينت ميرري ميد، في البيت المجاور لبيت الكاهن... اسمي ماربل.

صاحت هيدر: عجباً! إذن أنت الآنسة ماربل؟ لقد سمعت عنك. أنت المرأة التي تقوم بجرائم القتل.

قاطعها زوجها بحدة: هيدر، ما الذي...

- آه، أنت تعرف ما أعنيه. لا أقصد أنها ترتكب الجرائم،
ولكنها تكشف أسرارها. أليس هذا صحيحاً؟

أجابت الأنسة ماربل بكثير من التواضع بأنها سبق وأن وجدت
نفسها في وسط قضية أو قضيتين من قضايا الجرائم.

- سمعت عن وقوع جرائم قتل عديدة في هذه القرية... كانوا
يتحدثون عن ذلك قبل أيام في نادي البنغو. واحدة وقعت في
«غوسينغتن هول». ما كنت لأشتري بيتاً في مكان تقع فيه جريمة قتل.
أخشى أنه سيصبح مسكوناً بالأرواح!

- لم تقع الجريمة في «غوسينغتن هول»، بل نُقلت جثة ميتة
إلى هناك.

- قالوا إنهم وجدوها على سجادة أمام الموقد في المكتبة،
أليس كذلك؟

أومأت الأنسة ماربل بالإيجاب.

- ربما تُمثّل قصتها فلماً، قد يكون هذا هو سبب شراء مارينا
غريغ منزل غوسينغتن هول.

- مارينا غريغ؟

- نعم، هي وزوجها. نسيت اسمه ولكن أعتقد أنه منتج أو
مخرج... أظن أن اسمه الأول هو جيسون. لكن مارينا غريغ رائعة،
أليس كذلك؟ لم تظهر في أفلام كثيرة في السنوات الأخيرة بسبب
مرضها الطويل، لكنني ما زلت أعتقد أنه لا توجد ممثلة مثلها أبداً.

هل رأيتها في أفلامها الرائعة: «كارمينيلا» و«ثمن الحب» و«ماري ملكة سكتلندا»؟ لم تعد صغيرة السن لكنها ستبقى دائماً ممثلة رائعة. كنت دائماً من المعجبات جداً بها... عندما كنت في سن المراهقة كنت أحلم بها. كان مجيئها لافتتاح العرض الكبير لمساعدة مستشفى الميدان في سينت جون في برمودا هو الحدث المثير في حياتي. لقد كدت أجنّ من الفرح، ورغم أنني كنت إذ ذاك طريحة الفراش أعاني من الحمى، ورغم نصيحة الطبيب لي بملازمة الدار، إلا أنني تحاملت على نفسي، فأخفيت شحوب وجهي بكثير من مساحيق التجميل وخرجت إلى العرض. وقدموني لها فتحدثت معي لمدة ثلاث دقائق وحظيت منها بتوقيعها. لقد كان أمراً رائعاً؛ لم أنس ذلك اليوم أبداً.

حدقت الآنسة ماربل إليها وقالت بقلق: أرجو أن حالتك الصحية لم تزد سوءاً بعد ذلك؟

ضحكت هيذر بادكوك وقالت: أبداً، لم أكن قط أفضل مما كنت في ذلك اليوم. أنا أعتقد أن على الإنسان أن يخاطر قليلاً لتحصيل ما يريد، وقد كنت دوماً أجازف لأحصل على ما أريد. إذا أردت شيئاً فيجب أن تخاطري... كنت دائماً أفعل ذلك.

قال آرثر بادكوك بإعجاب: دائماً كانت هيذر تنتصر، كانت تفعل كل ذلك وتخرج سالمة.

أومأت الآنسة ماربل برأسها موافقةً وهمست: أليسون وايلد!

قال السيد بادكوك: عفواً، ماذا قلت؟

- لا شيء يهم، مجرد امرأة كنت أعرفها.

نظرت هيدر إليها متسائلة فقالت: لقد ذكّرتني بها، هذا كل ما في الأمر.

- حقاً؟ أرجو أنها كانت لطيفة.

- جداً، في الحقيقة كانت لطيفة وقوية ممتلئة بالحيوية.

ضحكت هيدر: ولكن كانت لها أخطاؤها بالتأكيد، وأنا لي أخطائي كذلك.

- كانت أليسون ترى دائماً وجهة نظرها الخاصة بدرجة من الوضوح تجعلها لا ترى كيف يمكن أن تظهر الأمور في أعين الآخرين أو كيف تؤثر عليهم.

قال آرثر: كغلطتك في تلك المرة عندما آويت تلك العائلة التي تم إخلاؤها من كوخها الأيل للسقوط، ثم غادرتنا العائلة آخذةً معها كل ملاعق الشاي التي نملكها! كانت ملاعق من العصر الجورجي توارثتها العائلة... كانت ملكاً لجددة والدتي.

- آه، أرجوك أن تنسى أمر تلك الملاعق يا آرثر! ما أكثر ما تذكر ذلك!

- أخشى أنني لا أحسن النسيان.

نظرت الأنسة ماربل إليه متأملة. وسألت هيدر الأنسة ماربل باهتمام لطيف: كيف حال صديقتك الآن؟

سكتت الأنسة ماربل هنيهة قبل أن تجيب: أليسون وايلد؟ آه،
لقد ماتت!

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com